منتدى مجال
سياسي - اجتماعي - استشاري

مأرب..

المعركة التي ستغير موازين القوى وخارطة التحالفات الإقليمية

منتدى مجال

سياسي - اجتماعي - استشاري

مأرب.. المعركة التي ستغير موازين القوى وخارطة التحالفات الإقليمية

ورقة مقدمة من منتدى مجال

1443هـ - 2021م

أكـــتوبر

مقـــدمة:

تتغير خارطة السيطرة على الأرض في اليمن بشكل مستمر بين القوى المتحاربة على الساحة اليمنية، فمنذ العام 2015م وإعلان دول التحالف الحرب على اليمن تحت مسمى «عاصفة الحزم»، تغيرت وتشكلت خارطة السيطرة بين قوى التحالف ومن معها وبين أنصار الله والمتحالفين معهم.

على مدى السنوات الممتدة من العام 2015 وحتى 2019م كانت كفة التحالف وحلفائه هي الراجحة في معظم المواجهات العسكرية، فقد استطاعت السيطرة على الكثير من المناطق التي كانت تحت سلطة صنعاء وخاصة في المحافظات الجنوبية، ثم المحافظات الشرقية «مأرب» و«الجوف» والتقدم حتى وصلوا إلى «مديرية نهم» التابعة لمحافظة صنعاء. تلا ذلك سيطرتها على الساحل الغربي لليمن المطل على البحر الأحمر العام 2018م، والذي يمتد من باب المندب وحتى المدخل الجنوبي لمدينة الحديدة.

شهدت ساحة المواجهة العسكرية تغيراً جذرياً منذ العام 2019م، حين أعلن الجيش اليمني واللجان الشعبية عن عملية واسعة ضد التحالف ومن معه في «محافظة صعدة» تحت مسمى «نصر من الله» واستطاعوا خلالها أسر 3500 جندي، والسيطرة على مساحة واسعة من المحافظة، كان التحالف ومن معه قد سيطروا عليها خلال فترة سابقة، وبهذا قضوا على تهديد التحالف لمحافظة صعدة المعقل الأول لأنصار الله.

شكلت تلك العملية، تغييراً جذرياً في تاريخ المواجهات بين الطرفين، فكانت فاتحة للعديد من العمليات العسكرية الكبرى التي نفذتها قوات صنعاء، واستطاعت من خلالها تغيير خارطة المواجهات، كما شكلت نهاية لكل عمليات التحالف الكبرى، إذ لم ينفذ أي عملية عسكرية كبرى منذ تلك الفترة وحتى 2021م.

لم يكن تغيير ميزان القوى لصالح صنعاء هو التغيير الخطير على

الساحة اليمنية، بل رافق ذلك تغير شبه جذري في المزاج الشعبي تجاه التحالف ووعوده التي حنث في جميعها، فقد أثبت فشله السياسي والاقتصادي والأمني في جميع المناطق التي يسميها محررة، كما ساهمت المجازر التي ارتكبها التحالف في اليمن سبباً أساسيًا في تغيير المزاج الشعبي ليس في المناطق الخاضعة لسلطة صنعاء أو في المناطق التي لأنصار الله فيها حاضنة شعبية فحسب، بل حتى في المحافظات المحسوبة على التحالف وما تسمى «الشرعية».

فمثلا، وعقب قصف التحالف العربي لسيارة أحد المواطنين في «محافظة شبوة» في سبتمبر 2021م وكما أورد موقع «مينتبرس نيوز» الأمريكي في تناوله للحادثة: أن رجل كبير في السن من «محافظة شبوة» قال: «لن يرضينا شيء سوى أن تغادر السعودية والإمارات أرضنا» وهو يقف على بقايا جثث محترقة لعائلة بعد قصفها من طائرات التحالف في منطقة «مرخة» التي تقع في شبوة إحدى أكبر محافظات اليمن. على الرغم من حقيقة أن الأمم المتحدة أكدت وقوع الحادث، إلا أن التحالف بقيادة السعودية أفلت من المسؤولية، قائلاً إنه ليس لديه معلومات عن غارات جوية استهدفت المدنيين في شبوة. وعلى الرغم من ذلك، أثارت عمليات القتل غضباً تجاه التحالف بين سكان المحافظة، تعهد سكان شمال غرب المحافظة حيث وقع الحادث بالولاء لأنصار الله وحملوا السلاح لطرد قوات التحالف وحلفائهم من المنطقة. وأعلن أحد أبناء قبيلة شبوة في أعقاب اجتماع حاشد في «بيحان» بشبوة أن «الهجمات الوحشية لا يمكن أن تخيفنا أو تردعنا عن تحرير أرضنا والوقوف جنباً إلى جنب مع الشرفاء» [1].

ترافق مع هذا التغيير في المزاج الشعبي حسن توظيف واستغلال من قبل سلطة صنعاء، وسوء إدارة وتعامل من قبل التحالف ومن في صفه من القوى اليمنية، هذه بدورها كان لها عنصر الفصل في تغيير المشهد العسكري على الساحة اليمنية، فخلال العام 2021م استطاعت سلطات صنعاء السيطرة على كامل «محافظة البيضاء» وأربع مديريات من «محافظة شبوة» والتوجه نحو

«محافظة مأرب» والوصول إلى طرق أبواب مدينة مأرب عاصمة المحافظة بعد سيطرتها على 12 مديرية من أصل 14.

السيطرة على هذه المناطق الاستراتيجية ليس بالحدث اليسير الذي يمكن احتواء تداعياته وحصر نتائجه في خارطة المواجهات بين الطرفين. لكن وقبل الحديث عن نتائج وتداعيات هذه السيطرة وتأثيراتها من المفيد التعريج على أهمية محافظتي البيضاء ومأرب.

تحتل «محافظة البيضاء» موقعًا جغرافيا بالغ الأهمية، حيث تشترك حدودها مع ثمان محافظات، هي: (شبوة، والضالع، وأبين، ولحج من محافظات الجنوب اليمني. ومأرب، وصنعاء، وذمار، وإب من محافظات الشمال). هذا الموقع الاستراتيجي يجعلها تلعب دوراً حاسماً في تطورات الحرب في اليمن بين التحالف العربي وحلفائه، وبين الجيش اليمني واللجان الشعبية. فضلاً عن هذا، فإن سلطة صنعاء ترى في محافظة البيضاء عمقاً استراتيجياً وأن عدم السيطرة عليهما أو كسب ولائهما على الأقل يمثل خطراً حقيقياً على أية سلطة في صنعاء، إضافة إلى كون البيضاء مفصل التحكم الجغرافي بين صنعاء ومناطق النفط في شبوة ومأرب، ومناطق القوة في الجنوب، كـ «أبين» و«يافع»، وتتمتع مناطقها الوسطى بطبيعة جبلية تجعلها حماية مهمة أمام أي هجوم على صنعاء من الجنوب أو الشرق. كما أن هذه القبائل المسلحة حافظت على تقاليدها، ولم تتأثر بموجات الاغتراب إلى أوروبا وأميركا [2].

تقوم استراتيجية سلطات صنعاء، في التعامل مع قبائل البيضاء على شقين:

الأول: تحشيد أنصارها من القبائل والمتضررين من عمليات التحالف ومن يرون في «عاصفة الحزم» عدوانًا على بلدهم.

والثاني: تحييد القبائل غير الموالية لها. هذا الأمر يضمن وضع هذه الكتل القبلية غير الموالية لها في وضع غير معادٍ ويحرم التحالف ومن معه من دعمها، كما يمنح قوات صنعاء حرية الحركة داخل المحافظة والسيطرة عليها [3].

شكلت هذه الاستراتيجية فارقاً مهما في المسار العسكري على الساحة

اليمنية، ووفقا لتقرير الباحث الأمريكي «مايكل هورتون» -والذي يقدم الاستشارات لعدد من المؤسسات الأمنية والعسكرية الأمريكية والبريطانية- فإن أنصار الله يعتمدون على التفاوض والتصالح مع القبائل بشكل أساسي، إذ يقول: «تدرك قيادة الحوثيين، مثل أي حكومة فعالة في اليمن، أن التسويات المتفاوض عليها هي المفتاح لكسب الحلفاء القبليين». بدون هذه التحالفات القبلية، لا يمكن لمجموعة واحدة السيطرة على شمال اليمن أو اليمن ككل.

يعتبر الفوز دون قتال أحد الركائز الأساسية لاستراتيجية الحوثيين. ومع ذلك، عندما تفشل المفاوضات، يسارع الحوثيون إلى شن هجمات برية جيدة التنسيق، تليها المزيد من المحاولات للتفاوض على التحالفات. يتمثل نهج الحوثيين في معظم أنحاء اليمن في تقديم الجزرة، ثم العصا، ثم الجزرة الأخرى، وأخيراً الهراوة. ساعد هذا النهج، إلى جانب الفطنة العسكرية للحوثيين، في جعلهم أقوى قوة سياسية وعسكرية في اليمن [4].

التنظيمات التكفيرية ومحافظة البيضاء:

تعود البدايات الأولى لظهور «تنظيم القاعدة» في «محافظة البيضاء» إلى منتصف 2011م عندما أقدم عناصر في التنظيم على قتل عدد من الجنود اليمنيين في بلدة «رداع»، وتم توجيه الاتهام إلى الشيخ «طارق الذهب» بالوقوف وراء العملية، وفي يناير/كانون الثاني 2012م عاد التنظيم للواجهة مجدداً بعد هجوم نفذه «الذّهب» مع مجموعة من المسلحين على «مدينة رداع» وتمت السيطرة على قلعة رداع الأثرية ومسجد العامرية، كما سيطر التنظيم على إدارة أمن مدينة رداع وكل المرافق الحكومية، الأمر الذي اختفت معه كل قطاعات الجيش والأمن من المدينة. على إثر ذلك شُكلت وساطة قبلية وتم الاتفاق بين النظام اليمني وتنظيم القاعدة على تسليم المؤسسات الحكومية مقابل الإفراج عن شقيق طارق الذهب (نبيل) وناصر المظفري من سجون الأمن السياسي.

عقب ذلك الاتفاق انتقلت عناصر التنظيم من «رداع» إلى منطقة قريبة من مركز المحافظة «مدينة البيضاء» وتحديدًا في «قرية ممدود» التي تتبع بلدة «الزاهر» -آل حميقان- بعد ذلك شنّ النظام اليمني العديد من الغارات الجوية وبالتعاون مع الأمريكيين في إطار ما أسموه محاربة الإرهاب، لكن تلك الغارات كانت نتائجها عكسية، فقد توسعت عمليات القاعدة في البيضاء، وبدأ التنظيم مرحلة جديدة من الانتقام، وتم اغتيال عدد كبير من الضباط وخاصة من لهم علاقة مع أجهزة المخابرات اليمنية.

شهد العام 2012 تراجعاً ملحوظًا في عمليات القتل التي ينفذها التنظيم وذلك عقب سلسلة من المواجهات بين القوات الحكومية وتنظيم القاعدة، لكن القوات الحكومية لم تستطع القضاء على التنظيم؛ ما اضطرهم للتفاوض، وبعد سلسلة من المفاوضات توصل الطرفان إلى عقد عدة اتفاقيات تم خلالها تحييد عناصر القاعدة من المدن الكبرى والسماح لهم بالتواجد في عدة مناطق بعيدة نوعاً ما عن مراكز المدن الكبرى.

بعد ذلك نشط تنظيم القاعدة؛ لتوسيع نفوذه وتعزيز انتشاره في محافظة البيضاء، مستغلاً الوضع السيئ الذي عاشه اليمن، وغياب الدولة، وحالة الفوضى خلال الفترة الممتدة من نهاية 2012 وحتى 2014 حين استطاع أنصار الله قيادة ثورة التصحيح الشعبية في سبتمبر 2014م، وعقب انتصار الثورة توصلت الأطراف اليمنية إلى توقيع (اتفاق السلم والشراكة).

كانت الحرب على الإرهاب في محافظتي البيضاء ومأرب، أحد شروط أنصار الله في الملحق الأمني التابع للاتفاق، ويُعد هذا مؤشراً على أن محاربة التنظيمات التكفيرية هو أولوية لدى «أنصار الله» منذ البداية. لكنهم فشلوا في إخضاعها التام على مدار 3 سنوات من الحرب هناك وحتى اليوم، رغم تحوّلها إلى ثقب أسود التهم من المقاتلين من الطرفين أكثر من أية جبهة أخرى، خصوصاً في بدايات الحرب [5].

بعد نجاح ثورة 21 من سبتمبر، أعلن «تنظيم القاعدة» ما أسماه «النفير للجهاد» ضد من أطلق عليهم «الحوثيين»، وبحسب ما نقلت قناة الـ (سي إن

إن) الأمريكية عن مصادر قبلية في محافظة أبين جنوب البلاد، أن عدداً كبيراً من عناصر تنظيم القاعدة -بينهم عناصر تحمل الجنسية الأجنبية- غادروا مديريات (لودر، الوضيع، المحفد) باتجاه محافظة البيضاء «للجهاد ضد من يسمونهم الروافض» في إشارة إلى جماعة الحوثي. وكانت تقارير صحفية أشارت إلى أحد الألوية المرابطة في «محافظة أبين» كشفه عن استقدام تنظيم القاعدة لمقاتليه من الصومال والقرن الأفريقي عن طريق المياه الإقليمية؛ لتصل إلى مناطق في أبين ومنها تتجه إلى «البيضاء» عبر سلسلة جبال تربط بين المدينتين. وبحسب سكان فقد ظهرت «عناصر قاعدية» في مدينة البيضاء مؤخراً بشكل علني، حاملين أعلام التنظيم ومرددين الهتافات الجهادية متوعدين بمواجهة ما أسموه «المد الرافضي» [6].

نهاية العام 2014 وبداية 2015 خاض الجيش اليمني المسنود بمقاتلين من أنصار الله مواجهات عدة مع تنظيم القاعدة، واستطاعوا الحد من نفوذه بشكل كبير، لكن إعلان دول التحالف الحرب على اليمن في مارس 2015 فرض علي تنظيم القاعدة إعادة ترتيب أولوياته، وفقاً لمتطلّبات الوضع الجديد. ومن هنا، قرّر التوجّه إلى المحافظات الجنوبية، ليصبح جزءاً من الحرب ضدّ «أنصار الله» وليس قائداً لها، وقد كان له دور فاعل في معارك عدن وغيرها، على اعتبار أنه الجهة الوحيدة المنظَّمة على الأرض، بعد انهيار المؤسّستَين العسكرية والأمنية، وهو ما سهّل عليه السيطرة على مدن رئيسة في تلك المحافظات بعد خروج قوات صنعاء منها [7].

شكلت التنظيمات التكفيرية فصيلا أساسياً من الفصائل اليمنية المقاتلة في صفوف التحالف بحسب ما ذكرت العديد من التقارير الدولية على رأسها الـ (بي بي سي) واسوشيتد برس الأمريكية. بعد دخول قوات التحالف إلى عدن في مايو 2015 وانسحاب الجيش اليمني واللجان الشعبية من معظم المحافظات الجنوبية تحولت محافظة البيضاء إلى واحدة من أهم ساحات القتال في اليمن، فقد مثَّلت ملاذاً مهمّاً بالنسبة إلى «تنظيم القاعدة» خلال السنوات الماضية، خصوصاً بعدما تخلّى عن معاقله الرئيسة في محافظتَي أبين وشبوة

(جنوب شرقي اليمن)، تجنّباً لخوض مواجهات مع تشكيلات جنوبية مسلّحة مدعومة من الإمارات.

ومع أن التنظيم تمكّن قبل ذلك من اختراق القبيلة في البيضاء، عبر استقطاب بعض مشايخها، كآل الذهب في رداع، إلّا أن المحافظة لم تكن بالنسبة إليه، بأهمّية أبين وشبوة، حيث عدَّها منطقة «مدد» أكثر من كونها حاضنة. لم يبالِ تنظيم القاعدة كثيراً بخسارته مناطق النفوذ الجديدة في المكلا وأبين ولحج، إذ أن هذه الخسارة وإن نالته معنوياً فإن آثارها العملية لا تتجاوز تفرعاته المحلية المتمثلة بتنظيم الأنصار. لكن التهديد الوجودي إنما يمس بنية تنظيم القاعدة الذي ظل متواجدًا بثقله في ملاذاته الآمنة، حيث تتوافر الجبال الوعرة والبنية القبلية والصراع المستمر[8].

كانت مناطق الوسط (تعز، يافع، البيضاء، وجزء من شبوة) هي الخيار الأمثل للتنظيم منذ لحظات ولادته، وها هو يعود إليها في مرحلته الانتقالية. لكن البيضاء على وجه التحديد لا تمثل للتنظيم ملاذا وحسب، بل و»قاعدة آمنه» يمكن أن يعيد انطلاقه من خلالها. إذ أنها تلبي ثلاثية (الجبال، والقبيلة، والحرب). كما أن عناصر التنظيم في البيضاء تشمل وجاهات قبلية وأسرية مثل عائلة الذهب، التي لم يكتف بعضها بمهادنة القاعدة بل أنها بايعت التنظيم وصعدت في سلمه لتتبوأ مناصبًا قيادية.

وشهدت المحافظة حالات من المد والجزر في سيطرة التنظيمات التكفيرية أو قوات صنعاء، واستمر ذلك إلى منتصف العام 2021 حين استطاعت قوات صنعاء تحرير كامل المحافظة وطرد كل العناصر التكفيرية منها وذلك بعد إعلان ما تسمى الشرعية وتحالف الحرب على اليمن اطلاق ما أسموه عملية «السهم الذهبي» لتحرير البيضاء في أغسطس الماضي، لكنّ مجريات الحرب صبت في النهاية في صالح صنعاء التي أعلنت محافظة البيضاء محافظة محررة بشكل كامل في سبتمبر الماضي، أي بعد أقل من شهر من المعارك.

أهمية تحرير البيضاء:

1 - تتمتع «محافظة البيضاء» بموقع استراتيجي، فهي تتوسط البلاد وتتصل بثماني محافظات، أربع في الشمال (مأرب، وذمار، وإب، وصنعاء)،وأربع في لجنوب وهي (أبين، والضالع، ولحج، وشبوة).

2 - تحرير محافظة البيضاء يعني تأمين أربع محافظات شمالية التي تقع تحت إدارة المجلس السياسي الأعلى، بما في ذلك تأمين محافظة مأرب من الالتفاف العسكري الذي سينفذه أدوات الارتزاق من حزب الإصلاح وعملاء الإمارات كالخائن طارق عفاش.

3 - تكسر الهيمنة الجغرافية بالنسبة لتنظيم القاعدة وداعش الذي يتخذ المحافظة أبرز المقرات الرسمية له على مستوى شبة الجزيرة العربية.

4 - تشكل ضربة نوعية لـ «بريطانيا وأمريكا» اللتين أسستا التنظيمات الإرهابية كالقاعدة وداعش والتي من خلالها تخلق الذريعة للتدخل العسكري في أي بلد.

5 - تعتبر مركزًا مهماً وبوابة هامة لتحرير أربع محافظات جنوبية محتلة وهي: (شبوة، وأبين، ولحج، والضالع) وهذا سيعزز موقف حكومة صنعاء «أنصار الله» في أي مفاوضات قادمة.

6 - قطع خطوط الإمدادات العسكرية التي تأتي من لحج وساحل أبين إلى مأرب، وهذا سيحرم التنظيمات الإرهابية من «القاعدة وداعش» من الحصول على الدعم وتقييد نشاطها.

7 - تعتبر المحافظة الثانية التي تقع في وسط وقلب اليمن، وهذا يمثل قوة دفع كبيرة لقوات الجيش واللجان الشعبية على استكمال تحرير بقية المحافظات المحتلة التي تمتلك أكثر من 800 ميناء مهيأة وغير مهيأة للعمل حسب تقارير بعض المنظمات الدولية [9].

معـركة مأرب:

لا شك أن حسم معركة مأرب لصالح قوات صنعاء تمثل نقطة تحول في المشهد اليمني والإقليمي والدولي بشكل عام. وبدأت تبرز مؤشّرات إلى استعدادات أمريكية لدخولٍ أقوى على خطّ المعركة، بهدف وقف مسلسل الانتكاسات المتوالية التي تتلقّاها قوات الرئيس المنتهية ولايته «عبد ربه منصور هادي»، والتي ستنتهي في حال استمرارها إلى ضربة قاصمة لما تُسمّى «الشرعية».

وفي هذا الإطار، نقلت صحيفة «الأخبار» اللبنانية من مصادر متقاطعة، أن «ضبّاطاً أميركيين وسعوديين التقوا قبل أيام عدداً من قيادات المنطقة العسكرية الأولى التابعة لهادي، وقيادات في ميليشيات حزب الإصلاح، في وادي حضرموت، حيث تمّ الاتفاق على حشد عناصر من تنظيم القاعدة في اتّجاه جبهات القتال في جنوب مدينة مأرب وغربها» [10].

ووفقاً للصحيفة فإن «القوات الأمريكية المتواجدة في «مطار الريان الدولي» في «مدينة المكلا»، مركز محافظة حضرموت، أنشأت خلال الأشهر الثلاثة الماضية -بتمويل سعودي- مدرجاً جديداً في الجانب العسكري من المطار بطول 350م تقريباً، وقد دخل الخدمة منذ أسبوع، وهو يستقبل رحلة جوّية عسكرية يومياً»، ومن ضمن الطائرات العسكرية الأمريكية والسعودية التي يستقبلها، طائرات من نوع «C-130» المخصّصة للنقل العسكري والمعروفة بحمولتها الكبيرة.

وأشارت الصحيفة إلى أن مصادر مطّلعة كشفت، السبت 23 أكتوبر الماضي، عن وصول شحنة أسلحة متنوّعة ومتطوّرة، برفقة عناصر أمريكيّين، إلى مقرّ لواء الدفاع الساحلي، بدعوى «تأمين الهضبة الشمالية الغربية لمحافظة حضرموت». إلّا أن التحرّكات الأمريكية الأخيرة على الحدود مع محافظة مأرب، تأتي بحسب مصادر «الأخبار اللبنانية»، تلبية لمناشدة سعودية بتعزيز الدعم المُسدى لها في هذه المعركة.

الاهتمام الأمريكي بمسار معركة مأرب تصاعد أخيراً مع وصول المعركة

إلى مرحلة حاسمة، وسبق للأمريكيين أن بعثوا بخبراء عسكريين ميدانيين إلى محافظة مأرب، وهم يرون في تحريرها خسارة كبرى لمصالحهم، ليس في اليمن فقط، وإنما في المنطقة، فالحرب على اليمن أُعلنت من واشنطن، وهي أمريكية بامتياز، وقد قامت أميركا خلال السنوات الماضية بتقديم دعم لوجيستي كبير ومكشوف للعدوان السعودي، وفقا للواء المتقاعد في الجيش اليمني، خالد غراب.

تداعيات ونتائج المواجهات:

نجزم أن تحولًا كبيراً في الحرب العدوانية على اليمن سيحدث قريبًا، إذ أن استعادة صنعاء لمأرب وشبوة الغنية بالنفط والرجال والتأريخ سينقل المعركة إلى مرحلة مختلفة تماما لصالح صنعاء [11].

فيما اعتبر المفكر الاستراتيجي المصري الدكتور «أحمد عز الدين»، تحرير الجيش واللجان الشعبية لمحافظة مأرب، انتهاء المعارك الكبرى.

ويشير عز الدين إلى: أن «الجيش اليمني واللجان الشعبية، خاضوا معركة عسكرية من طراز رفيع، في تكسير عظام الدفاع عن مأرب، بتكتيك أقرب إلى نحت منظم للدفاعات، من كافة الاتجاهات المتعامدة، وتمتعوا بإرادة قتال صُلبة، رغم القذف المساحي للطيران السعودي والإماراتي في غيبة مضادات للدفاع الجوي، وقد وصولوا فعليا إلى (الفلج) مدخل مدينة مأرب، بعد أن حرروا (الجوبة) و(جبل مراد) بما يساوي 1100 كم2».

ويضيف: «بينما يعني النجاح في دخول مأرب فعليا - الذي أتوقع حدوثه خلال أيام معدودة- انتهاء المعارك الكبرى، والتقدم نحو محافظة شبوة بعد أن سيطروا على 4 مديريات منها، هي: بيحان، وعسيلان، وعين ومؤخرا مرخة، ثم التقدم نحو حضرموت، وكلا المحافظتين ستعتبران في وضع أقرب إلى السقوط استراتيجيا، وهكذا لا قوة المال نجحت في شراء ما كان يلزم شراؤه للتعبئة، ولا قوة السلاح نجحت في تحقيق ما كانت تتصور أنها قادرة على

تحقيقه من نصر استراتيجي حاسم، بينما ارتدت موجة الدم في اتجاهها الطبيعي» [12].

في التوقيت ذاته تقريبا، علا صوت المتحدث باسم الجيش الإسرائيلي محذرا من التقدم المتسارع في مأرب، وقال: (لأن ما بعد «مأرب» إلا الجزيرة وما وراءها، حتى لا تتكرر مأساتنا التي عانينا منها قبل 1340 عاما، حين سقطت يثرب من أيدينا ومكة والجزيرة من أيديكم) [13].

معركة مأرب في حرب اليمن وتوازنات الإقليم تكاد تكون- بحسب الكاتب اللبناني ناصر قنديل- شبيهة بمعركة «حَلب» في الحرب السورية والتوازنات الإقليمية، فكما شكلت «حلب» نقطة الانطلاق لمسار ثابت في الحرب السورية تدحرجت بعده الانتصارات لصالح فريق واحد هو الدولة السورية مدعومة من حلفائها، تشكل معركة مأرب المفتاح لمسار ستتدحرج بعده محافظات ومدن اليمن؛ لتعود بين يدي الجيش واللجان وأنصار الله، ما لم تكن هناك تسوية مغرية ترضي أنصار الله وتغنيهم عن مواصلة خوض المعارك.

تعد مأرب أهم مدن اليمن جغرافياً، مع أنها ليست العاصمة الأولى ولا العاصمة الثانية، لكنها نقطة الوصل والربط بين محافظات اليمن في الشمال والجنوب، والفشل في الاحتفاظ بها بالنسبة لفريق منصور هادي وحكومته والتحالف العربي الذي تقوده السعودية، يعني استحالة القدرة في الدفاع عن سواها، ونجاح الجيش واللجان والأنصار في حسم معركة مأرب يعني قدرتهم على حسم سواها من المعارك [14].

ليس هناك شك في أن الحوثيين سوف يسيطرون على محافظة مأرب. قد يحدث مثل هذا الاستحواذ في غضون ستة أيام أو ستة أشهر، ولكن بغض النظر عن وقت حدوثه، فإنه سينهي ما تتمتع به الحكومة من قابلية ضئيلة للاستمرار. فبعد ست سنوات من الحرب في اليمن، هناك أمل ضئيل في أن أي قوة داخل اليمن أو خارجه ستهزم الحوثيين عسكرياً [15].

ويرى مراقبون ومهتمون بملف الحرب في اليمن من سياسيين وأكاديميين عرب، أن سيطرة «أنصار الله» على كامل محافظة مأرب، سيفتح الطريق

لمواجهة الخطط العسكرية الأميركية في السواحل الغربية بالقرب من «مضيق باب المندب»، وفي السواحل الجنوبية والشرقية الواقعة على البحر العربي، والتي تتّخذ من «مكافحة الإرهاب» ذريعة لإحكام السيطرة على المضائق الدولية والممرّات المائية. لذا، فلن يكون مستغرباً إذا ما رمت واشنطن بثقلها لمنع أو على الأقل تأخير استعادة قوات صنعاء سيطرتها على محافظة مأرب، التي تحوز أهمية استراتيجية باعتبارها موطناً للثروات النفطية والغازية، ومن شأن تحريرها الدفْع في اتّجاه كسْر الحصار المفروض على اليمن [16].

الأزمات الدولية ترجح انتصار الحوثيين:

في هذا السياق، قالت مجموعة الأزمات الدولية في تقرير لها: «إن انتصار الحوثيين في مأرب يبدو أكثر ترجيحًا بعد سيطرتهم على البيضاء، ويمكن أن يوجه ضربة قاتلة لحكومة الشرعية».

وبحسب التقرير، فإن الحوثيين يديرون حملة عسكرية جيدة التنسيق ومتطورة باستمرار على عدة جبهات، وبالتوازي مع ذلك، فإنهم يتواصلون مع زعماء القبائل المحليين في محاولة للتفاوض على طريقهم إلى مأرب.

السيطرة على البيضاء كانت الخطوة الأخيرة نحو ما يمكن أن يكون معركة أخيرة لهزيمة القوات المتحالفة مع الشرعية المدعومة من السعودية في مدينة مأرب، أو على الأقل تطويقها وعزلها، وإذا انتصر الحوثيون في هذه المعركة، فسيصبحون القوة العسكرية والسياسية المهيمنة بلا منازع في شمال اليمن، مما يمثل نهاية لمرحلة الصراع الحالية [17].

في المقابل، كشفت الولايات المتحدة الأمريكية، أن سيطرة قوات صنعاء على مأرب سيؤثر على التوازنات الإقليمية، وأن هذه السيطرة ستهدد العمق السعودي وستمثل تحولًا على مستوى المنطقة برمتها.

وأكدت «مجلة السياسة الخارجية الأمريكية»، في تقرير لها، شروط أمريكية «مجحفة» مقابل إنقاذ السعودية من ما اسمته «مستنقع الحوثيين»

في اليمـن والمملكـة.

ونقلـت المجلـة عـن خـبراء عسـكريين أمريكيـين إلى: أن مـأرب ستشـكل منعطفًـا جديـدًا في الحـرب عـلى اليمـن التـي تقودهـا بلادهـم منـذ سـنوات، وأن هـذا المنعطـف لا يتمحـور حـول الوضـع مسـتقبلا في اليمـن، بـل أيضـا عـلى المملكـة نفسـها مـع إمكانيـة تقـدم «الحوثيـين» في عمقهـا، واعتـبرت سـقوط مـأرب بأنـه السـيناريو الأسـوأ؛ كونـه انتصـار فعـلي لمـن وصفتهـم بـ» الحوثيـين» ونقطـة تحـول عـلى مسـتوى المنطقـة.

ختامًـا: فـإن معركـة «مـأرب» ستشـكل منعطفـاً في مسـار الأزمـة اليمنيـة، وسـيكون العـام الثامـن لهـذه الأزمـة هـو عـام التحـولات الرئيسـية فيهـا، وإعـادة تشـكل موازيـن القـوى بـين الأطـراف الفاعلـة عـلى الأرض، كالحوثيين في الشـمال والانتقـالي في الجنـوب، وهـذا السـياق ليـس جديـداً عـلى الحالـة اليمنيـة تاريخياً، بـل يمكـن النظـر إليـه بشـكل عـام عـلى أنـه دورة مـن دورات التاريـخ اليمنـي، وربمـا سـتكون لـه حسـابات إقليميـة مختلفـة، بالنظـر إلى حسـابات كل مـن إيـران والسـعودية [18].

إذ يمكـن القـول: إن ترجيـح كفـة إيـران في معادلـة هـذا الـصراع عـلى المديـين القريـب والمتوسـط؛ سـيضيف المزيـد مـن التعقيـدات في المشـهد الإقليمـي، وسـيضاعف مـن النظـرة السـلبية لمشروعهـا الإقليمـي، وسـيُقوِّض الفـرص الممكنـة لاسـتيعابها وقبولهـا عربيـاً ودوليـاً، كـما أن كُلفـة التمـدد في الخـارج قابلـة لأن تتحـول في مرحلـة تاليـة إلى عامـل ضعـف وليـس عامـل قـوة، بالنظـر إلى التداعيـات السياسـية والاقتصاديـة لهـذا التمـدد خاصـة وأنـه سـيكون مقيـداً بعـدم المشروعيـة، فضـلا عـن القيـود عـلى حركـة الحوثيـين كوكيـل لهـا. أمـا بالنسـبة للسـعودية، فتاريخيـاً تعاطـت سياسـياً مـع تحـولات المشـهد اليمنـي كمشـهد قابـل لإعـادة إنتـاج الفـوضى باسـتمرار، لكـن يمكـن التكيـف معـه بالوسـائل السياسـية والدفاعيـة الممكنـة [19].

قائمة المراجـــــع:

1 - موقع "مينتبرس نيوز" الأمريكي 4 أكتوبر 2021م «السعودية تتنازل عن الأرض لكنها تقاتل من الجو مع احتدام الحرب».

2 - البيضاء، محافظة استراتيجية أهم من أن تُنسى 4 يونيو 2020م مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية https://sanaacenter.org/ar/

3 - نفس المصدر السابق.

4 - سقوط مأرب بيد الحوثيين بات وشيكا والقبائل تستعد لتأمين مصالحها معهم، الباحث الأمريكي مايكل هورتون، 29 سبتمبر، 2021 https://alkhabaralyemeni.net/

5 - محافظة البيضاء... الثقب الأسود في حرب اليمن يناير -2018 مركز صنعاء للدراسات الإستراتيجية https://sanaacenter.org/ar/

6 - القاعدة تحاول السيطرة على البيضاء وسط اليمن، سي ان ان، الأربعاء، 8 أكتوبر/تشرين الأول 2014.

7 - «القاعدة» ما بعد البيضاء: أين المفرّ؟ عبد الرزاق الجمل الجمعة 6 آب 2021 صحيفة الأخبار اللبنانية https://www.al-akhbar.com/

8 - نفس المصدر السابق.

9 - الأهمية الإستراتيجيّة لـ محافظة البيضاء اليمنية، مجلة تحليلات العصر الدولية - ربيد الراجحي http://alasrmag.com/author/mhmdg

10 - صحيفة «الأخبار» اللبنانية- تحرّكات أميركية لإغاثة السعودية: فَلْنُؤخّر ساعة مأرب 30- تشرين الأول https://al-akhbar.com

11 - هل ينجح الاستنفار الغربي في منع صنعاء من استكمال حسم معركة مارب.. وكيف تغيرت التحالفات القبلية في المحافظة ضد السعودية – طالب الحسني https://www.raialyoum.com

12 - تحليل بعنوان: هجْمة عبثية! للكتاب المصري أحمد عز الدين http://ahmedezzeldin.com

13 - نفس المصدر السابق.

14 - ناصر قنديل، ما بعد مأرب ليس كما قبلها
/http://www.topnews-nasserkandil.net
15 - سقوط مأرب بيد الحوثيين بات وشيكا والقبائل تستعد لتأمين مصالحها معهم- الباحث الأمريكي مايكل هورتون،29 سبتمبر، -2021
/https://alkhabaralyemeni.net
16 - صحيفة «الأخبار» اللبنانية- تحرّكات أميركية لإغاثة السعودية: فَلْنُؤخّر ساعة مأرب 30- تشرين الأول https://al-akhbar.com
17 - الأزمات الدولية ترجح انتصار الحوثيين في مأرب
/https://alkhabaralyemeni.net
18 - معركة مأرب: الحوثي وتكتيك الأرض المحروقة 3 نوفمبر 2021م - مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية https://acpss.ahram.org.eg
19 - نفس المصدر السابق.

MAJAL FORUM

Poltical - Social - Consultancy